ردم الفجوة المعرفيَّة: كيف تسهم منصة "مودة" في تعزيز الوعي بالصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة وحقوقها

عندما يواجه الناس مشكلات صحيَّة، فإن أول ما يفعلونه في كثير من الأحيان هو اللجوء إلى شبكة الإنترنت بحثًا عن إجابات. وبينما تزخر الشبكة بمحتوى طبي مجاني، فإن جودته تتفاوت بشكل كبير، إذ يتراوح بين معلومات علميَّة موثوقة ونصائح شخصيَّة قد تفتقر إلى الدقة. وفي العالم العربي، تحديدًا في الموضوعات الحساسة مثل الصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة وحقوقها (SRHR)، يندر العثور على محتوى رصين يستند إلى الأدلة العلميَّة. هذه الفجوة المعرفيَّة تظهر بشكل خاص لدى النساء والفتيات المراهقات، والأشخاص المقبلين على الزواج أو في بدايته، وسط انتشار واسع للخرافات والمفاهيم الخاطئة. ويزداد الوضع تعقيدًا لدى الأشخاص ذوي الإعاقة، الذين يفتقرون غالبًا إلى موارد مصممة تلبي احتياجاتهم الخاصة.

من هذا المنطلق، أطلق مركز "حكايَّة" منصة "مودة"، وهي منصة رقميَّة تهدف إلى إنتاج ونشر محتوى تعليمي موثوق باللغة العربيَّة، تركّز على الصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة وحقوقها، وتسعى لسد هذه الفجوة بفعاليَّة.

في منتصف عام 2023، شكّل تقاطع أهداف منصة "مودة" مع برنامج "نحن نقود" لحظة مفصليَّة في مسيرتها. هذا التحالف الاستراتيجي أتاح للمنصة التوسع بشكل غير مسبوق، سواء في نوعيَّة المحتوى أو في وصوله إلى جمهور أوسع.

من خلال هذا التعاون، تمكّن مركز حكايَّة من توسيع إنتاجه لمحتوى عالي الجودة وسهل الوصول ضمن مشروع "نحن نقود"، حيث تم نشر 90 مقالة علميَّة مكتوبة جديدة و50 حلقة بودكاست ضمن برنامج "صوت مودة" ركّزت بشكل خاص على القضايا المتعلقة بالأشخاص ذوي الإعاقة. بالإضافة إلى ذلك، تم إنتاج 10 حلقات بودكاست ضمن سلسلة خاصة بعنوان "مش نمطي" سلّطت الضوء على دور منظمات المجتمع المدني في العمل على تطبيق استراتيجيَّة الصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة في الأردن.

تعكس هذه المخرجات دور مودة الأوسع كمنصة رقميَّة إقليميَّة نشطة ومتناميَّة، تستمر في إنتاج محتوى متنوع وشامل حول قضايا الصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة، وذلك من خلال مشاريع وشراكات متعددة.

كما ساهم مشروع "نحن نقود" في دراسة اجريت لتقييم "المعرفة والمواقف والممارسات" (KAP) المتعلقة بالصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة، وفي دراسة اخرى لتقييم التدخل الرقمي في قضايا رفع الوعي في الصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة وفهم أثر المنصات الرقميَّة على الوعي والسلوك، حيث طُرحت "مودة" كنموذج رئيسي لهذه الدراسة.

وإلى جانب المحتوى، نظّمت "مودة" ضمن مشروع "نحن نقود" تدريبًا لصانعي المحتوى حول الكتابة عن قضايا الصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة بلغة حساسة للنوع الاجتماعي، استنادًا إلى دليلها التحريري الجديد "دليل أسلوب كتابة مودة"، الذي يوجه الكُتّاب لاستخدام لغة شاملة، قائمة على الحقوق، ومراعيَّة للسياق الثقافي والاجتماعي.

وتستند رؤيَّة "مودة" إلى إطار "مثلث المتعة"، الذي يربط بين الصحَّة، والحقوق، والرفاه، بوصفها أركانًا أساسيَّة لفهم شامل للصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة. وتحرص المنصة من خلال هذا النموذج على تقديم محتوى لا يكتفي بالتثقيف، بل يسهم أيضًا في تطبيع النقاش حول مفاهيم مثل الرفاه الجنسي، والاستقلاليَّة الشخصيَّة، والإشباع العاطفي، خصوصًا بين النساء والفئات المهمشة.

وبفضل هذا النهج، تحولت "مودة" إلى مرجع موثوق يعتمد عليه الأفراد والمتخصصون على حد سواء. فالمحتوى الذي تقدّمه تشرف عليه نخبة من الأطباء والخبراء، ويُقدّم من خلال مقالات، وبودكاست، محتوى مرئي، ودورات تدريبيَّة.

وساهمت منصات التواصل الاجتماعي، وعلى رأسها فيسبوك وإنستغرام، في توسيع حضور "مودة"، حيث باتت تصل إلى عشرات الآلاف من المستخدمين شهريًا. وتحوّلت المنصة من مجرد مصدر معلومات إلى مساحة تفاعليَّة يشعر فيها الزوّار بالأمان لطرح الأسئلة، ومشاركة القلق، والبحث عن إرشاد موثوق في مواضيع شديدة الخصوصيَّة. يساعد هذا التفاعل المباشر "مودة" على البقاء متصلة بشكل مستمر مع احتياجات المستخدمين، والتفاعل مع تجاربهم، وضمان أن يبقى محتواها حيًا، وواقعيًا، ومبنيًا على الحياة اليوميَّة.

ومن بين القصص التي تجسّد الأثر العملي لمنصة "مودة"، تبرز تجربة إحدى المعلمات التي واجهت موقفًا محرجًا في مدرستها. أثناء الحصة، لاحظت أن أحد الأطفال قام بتقليد سلوك جنسي غير لائق كان قد شاهده خارج بيئة المدرسة. اربكها الموقف، ووجدت نفسها في حيرة من أمرها: كيف تتعامل مع الطفل بطريقة تربويَّة تراعي عمره وحساسيَّة الموقف؟ وكيف تقدم التوجيه الصحَّيح دون إحداث وصمة أو خوف لدى الطفل أو زملائه؟

وبدلًا من اللجوء إلى حلول تقليديَّة قد تزيد من تعقيد المشكلة، قررت المعلمة البحث عن مصادر موثوقة تساعدها في التعامل مع الموقف بطريقة علميَّة ومدروسة. أثناء بحثها على الإنترنت، صادفت منصة "مودة" وبدأت تصفح محتواها. تقول: "كنت أبحث عن طريقة تربويَّة مناسبة لأشرح للطفل حدود السلوك دون إحراجه أو إشعاره بالذنب. وجدت على مودة مقالًا يشرح كيفيَّة التحدث مع الأطفال عن السلوكيات غير اللائقة بطريقة مبسطة وآمنة. كانت الإرشادات واضحة، وعمليَّة، وتراعي الفئة العمريَّة التي أتعامل معها".

تؤكد المعلمة أن هذا الموقف لم يكن مجرد تجربة عابرة، بل نقطة تحول في وعيها المهني، إذ أصبحت تعتمد على "مودة" كمرجع تعليمي وثقافي موثوق يمكن العودة إليه في مواقف مشابهة. وتضيف: "منصة مودة لم تقدم لي فقط الحل، بل جعلتني أشعر أنني لست وحدي، وأن هناك من يفهم التحديات اليوميَّة التي نواجهها كمربين في بيئات حساسة".

وهكذا، تتحول تجربة شخصيَّة إلى شهادة حيَّة على فاعليَّة المنصة، وتؤكد أن تأثير "مودة" يتجاوز توفير المعلومات، ليصبح أداة دعم حقيقيَّة ومصدرًا لبناء الثقة في التعامل مع قضايا الصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة في السياقات التربويَّة والمجتمعيَّة.

كما واجهت المنصة بشكل مباشر المعلومات المغلوطة حول الصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة للأشخاص ذوي الإعاقة، وطرحت محتوىً شاملاً ومنفتحًا يعالج هذه الفجوات. ونتيجة لذلك، أبلغت نساء كثيرات عن تحسن في فهم أجسادهن ومشاعرهن، فيما أصبح مقدمو الخدمات أكثر تعاطفًا ودقة في تقديم الرعايَّة. أما على مستوى الأرقام، فقد استقطب الموقع أكثر من 139,100 مستخدم فريد، وسجل 217,600 مشاهدة للصفحات، بمعدل تفاعل شهري يتراوح بين 3,000 و5,000 مستخدم. كما أظهرت بيانات التفاعل على فيسبوك وصول المنصة إلى 3.4 مليون مستخدم، مع ما يقارب 129,000 تفاعل—وهي مؤشرات على عمق الأثر وفعاليَّة الحضور الرقمي.

وتجاوز تأثير "مودة" المستخدمين الأفراد، ليشمل منظمات المجتمع المدني والبرامج التدريبيَّة الإقليميَّة التي بدأت في اعتماد محتواها كمصدر مرجعي. وبذلك، أصبحت المنصة نموذجًا يُحتذى به في دمج المسؤوليَّة الاجتماعيَّة ومبادئ الشموليَّة ضمن جهود التوعيَّة، خاصة من خلال التزامها بإتاحة محتوى مخصص وشامل للأشخاص ذوي الإعاقة، واعتمادها لسياسات نشر ولغة تحريريَّة قائمة على الحقوق والاحترام الثقافي، مع تركيز واضح على الفئات المهمشة.

ومع كل هذا التقدّم، لم تكن الرحلة خاليَّة من التحديات. فقد تطلبت مواجهة الأعراف الاجتماعيَّة الراسخة شجاعة كبيرة. وعندما طرحت "مودة" موضوعات مثل المتعة الجنسيَّة للنساء في حلقاتها الصوتيَّة، أثارت جدلًا واسعًا. وبينما قابلها البعض بالانتقاد، وجد فيها آخرون مساحة طال انتظارها للنقاش المفتوح. ورغم هذه المقاومة، واصلت "مودة" بثبات تناول المواضيع الصعبة بحساسيَّة وشجاعة، مما فتح الباب أمام حوار أكثر شمولًا وإنصافًا.

لقد أثبتت "مودة" أن المحتوى الشامل، المبني على الأدلة، والحساس ثقافيًا قادر على إحداث تغيير حقيقي. فمن خلال ردم الفجوة المعرفيَّة، لم تُغيّر المنصة مسارات الأفراد فحسب، بل أسهمت في إعادة تشكيل الخطاب الإقليمي حول الصحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة، وأرست أساسًا لتحول مستدام نحو مجتمع أكثر وعيًا، وحريَّة، وعدالة.